في تمنّها كذلك فان تمنّ يتعدى بالباء فهي مضمرة والتقدير تمنّ بها او محذوفة كما في قوله تعالى واختار
موسى قومه وعلى التقدير يكون ان عبدت بدلاً من هاء تمنّها قوله الى خصلة شنعاء
مبهمة وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره
بتنزيله بُعد عن ساحة عز الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل
المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الحاضرة المتقدم ذكرها بل هما رفي هين تصوره عليه السلام
واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبره به عنه فانه لم تصور قوله نعمة تمنها علي ان عبدت بني
اسرائيل من حيث انها نعمة فيكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبتداء واخبر عنها
ثم بيّنها بقوله ان عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي فان اللعين وان امتن بتربيته اياه الا ان تلك التربية لما كانت مسببة
عن تعبيده بني اسرائيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم قوله لم يرعوا اي لم يكف
ولم يمتنع وهو من باب افعلّ من رعا يرعوا اي كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره
افعول ووزنه افعلل لم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو لوقوعها رابعة في الطرف قوله
شرع في الاعتراض على دعواه لم يذكر في نظم هذه الآية ان موسى عليه السلام دخل على فرعون وادى
الرسالة وقال انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتياه
فقالا له ذلك كما ذكرناه هنالك فانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
استلزم ذلك انهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين
يسأل عن حقيقته الخاصة ويقول اي شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كأنك تريد به التعريض
بانكار الالهي ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
فاجابه عليه السلام بما هو انكار الاهته وان يكون ربا للعالمين تعريضا حيث قال رب السموات
والارض وما بينهما كانه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين هو رب السموات
والارض ومدبرهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها
وسموك برب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي يؤديهم الى الايقان
علمتم ان العالم عبارة عن كل ما يعلم به الخالق من السموات والارض وما بينهما وان ذاتها
الذي خلقها ورزق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدءا لجميع الممكنات
وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه
فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعل او يزعم ان السموات
ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها فثنى عليه السلام بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين استدل

١

استدل اولا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب
يستند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات باسرها ما هو اقرب بالنسبة الى المستدل
وهو نفسه ومن ولد منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر
الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذواتها
غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا
بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون
وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام اليه
فقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم قوله يكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند
ذلك اشتد اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب
الماهية والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا يفيد الخصوصية البتة فهذا الذي يدعي الرسالة
مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبي الله تعالى الى تعريف ثالث اوضح
من الثاني فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق
طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وظاهر ان هذا التدبير
على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه
عليه السلام استدل اولا بالاحياء والاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه
نمرود اللعين بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت الذي كفر فكذا موسى عرف رب العالمين اولا بقوله ربكم ورب ابائكم
الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه
بمنزلة قول الخليل فات بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه السلام قال ان
كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف
وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان حقيقته بالآثار
الخارجية والافعال المختصة به وانما عرفت حقيقته تلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع
بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته قوله لانهم او لا جواب عما يقال كيف قال
اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون قوله قالوا ارجه قرأ ابن كثير وهشام هنا وفي سورة الاعراف ارجئهو
بالهمزة وضم الهاء التي يصلها واو وابو عمرو بالهمزة من غير صلة وضم الهاء وابن ذكوان
بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة ويختلس الكسر وورش بغير همزة ويصلها

Copyright © King Saud University